



مخطوط: تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ للإمام الجمالي الميلي الجزائري (ت: 1248هـ) - قراءة كوديكولوجية تفسيرية -

*Manuscript: Touhfat al-Ahbab in the Interpretation of the Almighty's Saying:
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ by Imam Al-Jamali Al-Mili Al-Jazaery (d:1248 AH)
- Explanatory codicological reading*

د / عبد الغاني عيساوي *

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة (الجزائر)
abdelghaniomar@yahoo.com

تاريخ النشر: 2023/07/15

تاريخ الاستلام: 2023/05/03

تاريخ الاستلام: 2023/01/21



الملخص: المقال دراسة لمخطوط تحفة الأحباب، للإمام الميلي الجمالي الجزائري المتوفى سنة: 1248هـ، الذي عاش في حاضرة الزيتونة بتونس، وكان أحد أعلامهم في القرن الثالث عشر الهجري، في محاولة لدراسة كوديكولوجية للنسخة الوحيدة لهذا المخطوط، وحالته التي كانت السبب الأساسي في عدم نشره وتحقيقه، ودراسة تفسيرية لفهم إجاباته على الأسئلة المستشكلة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ التي أرسلت لكثير من مشايخ أهل التفسير حينها للإجابة عليها في حاضرة تلمسان والزيتونة، وجاءت في الإجابات في إحدى وعشرين إجابة بين مطولة ومختصرة.

الكلمات المفتاحية: الجمالي الميلي، تحفة الأحباب، مخطوط، تفسيرية، كوديكولوجية.

Abstract: The article is a study of the manuscript of Touhfat al-Ahbab, by Imam Al-Mili Al-Jamali Al-Jaza'iri, who died in the year 1248 AH, who lived in the capital of Zaytuna in Tunisia, and was one of their flags in the thirteenth century AH, in an attempt to study the codicology of the only copy of this manuscript, and its condition, which was the main reason for not publishing and achieving it, and an explanatory study to understand his answers to the questions formed in the Almighty's saying: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

* المؤلف المراسل.

Which was sent to many sheikhs of the people of interpretation at the time to answer it in the metropolis of Tlemcen and Zaytouna, and came in the answers in twenty-one answers between lengthy and brief.

Keywords: Milli, Touhfat al-Ahbab, Manuscript, Explanatory, Codicology.

1. مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين. فقد تعددت وتنوعت البصمة الجزائرية في الحواضر العربية الإسلامية في شتى الفنون والعلوم، وكان تفسير القرآن الكريم، أحد أهم المحطات التي وضع فيها الأعلام الجزائريون بصماتهم إما بالتأليف أو التدريس أو الجمع بينهما، مستصحبين جلال وعظمة وأهمية خدمة الدرس التفسيري، والمساهمة في ذلك، إما بالتحشية أو التعليق أو التفسير قصدا، أكان بالآية الواحدة أو للسورة أو لبعض الأجزاء، أو كل القرآن الكريم، أو حتى بالنظم في أفنان التفسير وعلومه.

لقد توزعت وتنوعت التركة التفسيرية الجزائرية تأليفا وتدرسا، وتبذل الجهود في فهرستها وتحقيقها تحت الراية الأكاديمية أو أعمال الباحثين، والناظر في تاريخ ومنتوج الحواضر العلمية الجزائرية بدءا بتلمسان وانتهاء بتوات مرورا بقسنطينة وبجاية ومازونة وغيرها، يجد أن لها مردودا علميا كبيرا في ميدان التفسير، وأن كثيرا من هاته المساهمات المخطوطة من المشايخ الجزائريين الأعلام لازالت حبيسة الرفوف في الزوايا والمكتبات العامة والخاصة، رغم ما تحمله من بصمات مغاربية خاصة، لا يمكن الجزم بأنها ترتقي لمقام المدرسية، ولكنها ذات ملامح معينة خاصة، خارجة من عباءة وسقف الحواضر الجزائرية، من زمن الدولة الرستمية وحتى جزائر الاستقلال.

ظهر للساحة المعرفية مخطوط فريد بعنوان: تحفة الأحاباب في تفسير قوله تعالى جت تـجـ للإمام علي بن محمد الميلي الجمالي الجزائري، وقد بحثت عنه في عالم المطبوع فلم أجده، إنما وجدته مخطوطا لم يحقق بعد، فأردت التعريف بهذا المخطوط فريد النسخة لحد اللحظة، وبصاحبه الإمام الميلي الجمالي الجزائري.

فكيف يمكن قراءة الحالة الكوديكلوجية لهذا المخطوط؟ خاصة إن علم أن وضعيته كانت سببا في عدم تحقيقه، وكيف يمكن قراءة مادته التفسيرية وما الذي تناوله صاحبه فيه وبأي منهج ومسلك تعامل فيه مع الآية القرآنية الواردة، وطريقة الإجابة على الاستشكالات التي أوردتها؟

كل ذلك يُرتقب أن يجاب عليه في ثلاثة مطالب، الأول جاء ترجمةً للعالم صاحب المخطوط والذي لم نجد له كثير ذكر في كتب التراجم والسير والطبقات، والمطلب الثاني خُصص للقراءة الكوديكلوجية وحالة المخطوط كونه السبب الأساس في عدم تحقيقه لحد اللحظة، والمطلب الثالث جعلته للقراءة التفسيرية وطبيعة تعامل الشيخ الميلي الجمالي مع الآية القرآنية، ومحاولة استخلاص منهجه التفسيري، فختامة.

2. ترجمة الإمام علي بن محمد الميلي الجَمَّالي الجزائري، (ت: 1248هـ):

هو علي بن محمد الميلي الجَمَّالي، أحد أعلام الجزائر في التفسير الذين سكن أسلافه تونس، نسبته إلى "ميلة" بقرب قسنطينة، ثم انتقلت عائلته إلى قرية جَمَّال بالساحل التونسي، لا يُعلم تاريخ ولادته، فقيه مالكي متكلم، مفسِّر¹، استوطن مصر وتوفي بها سنة: 1248هـ، ولا نعلم أول من انتقل لتونس من سلفه ولا سبب ذلك، كما لم تسعفنا المصادر والمراجع بمعلومات حول والده ومحيطه العائلي.

الحديث عنه في كتب التراجم والسير والطبقات والرحلات يكاد ينقطع، إلا ما وجد من ذكر له عند المهتمين بالردود على الفرق، فإنه عرف بردوده على المخالفين، ذكر حسن حسني عبد الوهاب في ترجمته أنه لا "نعرف شيئاً عن نشأته الأولى ودراسته، سكن مصر، وكان له مع علمائها خصومات ومجادلات في مسائل الفروع الفقهية"²، أشار أبو القاسم سعد الله إلى أنها مع خصوم المذهب المالكي والأشعري³، ولم تتحدث المصادر التاريخية عن شيوخه وطلبته، ذكر صاحب «العمر» أنه: نُقل عن الشيخ محمد العروسي⁴ أنه قال عنه: "رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا، لا يُنكر علمه وفضله، وهو منعزل عن خلطة الناس، إلا أنه حاد المزاج"⁵، وقد ذُكر في تصانيفه أنه ألَّف رسالة في «حكم ذبيحة أهل الكتاب» لتلميذه إبراهيم باشا المالكي الإسكندري⁶، ولا يعلم غيره من الطلبة ولا الشيوخ.

له تأليف وتصانيف كثيرة، منها: «الكواكب الدرية والأنوار الشمسية في إثبات الصفات السنية القائمة بالذات الأزلية»⁷، و«السيوف المشرفية في الرد على القائلين بالجهة والجسمية»⁸، و«الحسام السميري لقطع جيد الكاذب المفترى»⁹ في تكذيب فرية نسبت إلى الإمام الأشعري، و«الشمس والقمر والنجوم الدراري في إثبات القدر والكسب والاستطاعة والجزء الاختياري»¹⁰، و«أشراط الساعة وخروج المهدي» وغيرها، علَّق عليها الزركلي بالقول: "وكلها رسائل"¹¹.

اعتزال الإمام الميلي الناس وكذا المجالس العلمية، يروي ذلك بحسرة وكآبة شديدة، إذ يقول:

1: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج: 4، ص: 428. ومعجم المفسرين، عادل نويمض، ج: 1، ص: 387.

2: العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، ج: 1، ص: 444.

3: تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ج: 7، ص: 96.

4: لم أجده.

5: العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، ت: 1990م، ج: 1، ص: 446.

6: قد يكون إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، أحد ولاية مصر، وصاحب الحملة على نجد والحجاز، المتوفى سنة: 1264هـ، فقد ذكروا في ترجمته أنه طلب العلم على شيوخ القاهرة، وأرجح هذا كونه كتبها له بطلب منه.

7: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 237، تصنيف عقائد. ونسخة ثانية بالأزهرية برقم: [357 مجاميع] 12603.

8: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 188/1، وثانية بمكتبة برنستون بأمريكا تحت رقم: 3373.

9: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 177/1.

10: منه نسخة بدار الكتب المصرية برقم: 194/1.

11: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج: 5، ص: 17.

حفظتني نفحات من الحق عن مخالطة الخلق، وكلفت نفسي رفض المناصب والعوائق، وآثرت الطاحونة ببيتتي على سائر الطرائق، وتركت الدنيا وفوائدها والمناصب وعوائدها، والعلوم ومدارسها والفضائل ومؤانستها، واخترت العزلة والإنزوى¹ وانتظرت منادي الله صباحا ومساء²، ثم تمثل بأبيات من الشعر غاية في الحزن والطلب من الله تعالى حسن الخاتمة، دالة بذلك على زهده واستئصال البقاء في هاته الحياة.

توفي الإمام علي الميلي الجمالي الجزائري سنة: 1284هـ، وقد دفن بمصر بعد أن مكث فيها مطولا، ولا يُعلم مدة إقامته بها، فرحمة الله عليه وجعله من أهل الجنان.

3. المطلب الثاني: قراءة كوديكولوجية للمخطوط:

يُدرس المخطوط بشقيه الكوديكولوجي المعني به كمادة ووعاء حامل للمعرفة، وفيلولوجي مهتم بما داخل هذا الوعاء من حيث المادة المعرفية والعلمية المتضمنة داخله، وهذا المطلب جاء لأنه السبب الأساس في عدم إخراج هذا المخطوط لعالم المطبوع، بعد الطمس الكبير داخل غالب لوحاته وحالته المادية التي حالت دون الاستفادة منه إلا بما هو متيسر، وبما حاولتُ جاهدا قراءته وإخراجه، بعد تمكني من الحصول عليه زمن دراسي في معهد المخطوطات سنة: 2007م.

مخطوط: تحفة الأحياب في تفسير قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ منه نسخة واحدة ووحيدة في المكتبة الأزهرية، جاءت برقم: 7168، تفسير، ونسخة مصورة عنها بدار الكتب المصرية، جاءت في حوالي 93 لوحة، مكتوبة بخط مشرق عادي، مسطرتها 19، ورقم حفظها بالدار هو: 36/1، برقم حفظ فلم: 1686، ولأن المخطوط ناقص غير تام فلم أجد لوحة الكولوفون، ولم أهتد لمعرفة الناسخ ولا سنة نسخها، غير أنه يمكن الجزم أنها كانت بعد سنة: 1212هـ، وهي سنة دخول الحملة الفرنسية على مصر، لأنه تحدث عن ذلك بحسرة شديدة، وأوردها في نهاية تفسيره هذا، وسأذكر هذا في محله.

والدراسة الكوديكولوجية التي تعني بالوعاء الحامل للمعرفة، من حيث نوع الأوراق والأحبار وطريقة الحفظ وغيرها، تُظهر مجموعة من الملاحظات حول هذا المخطوط، أبرزها:

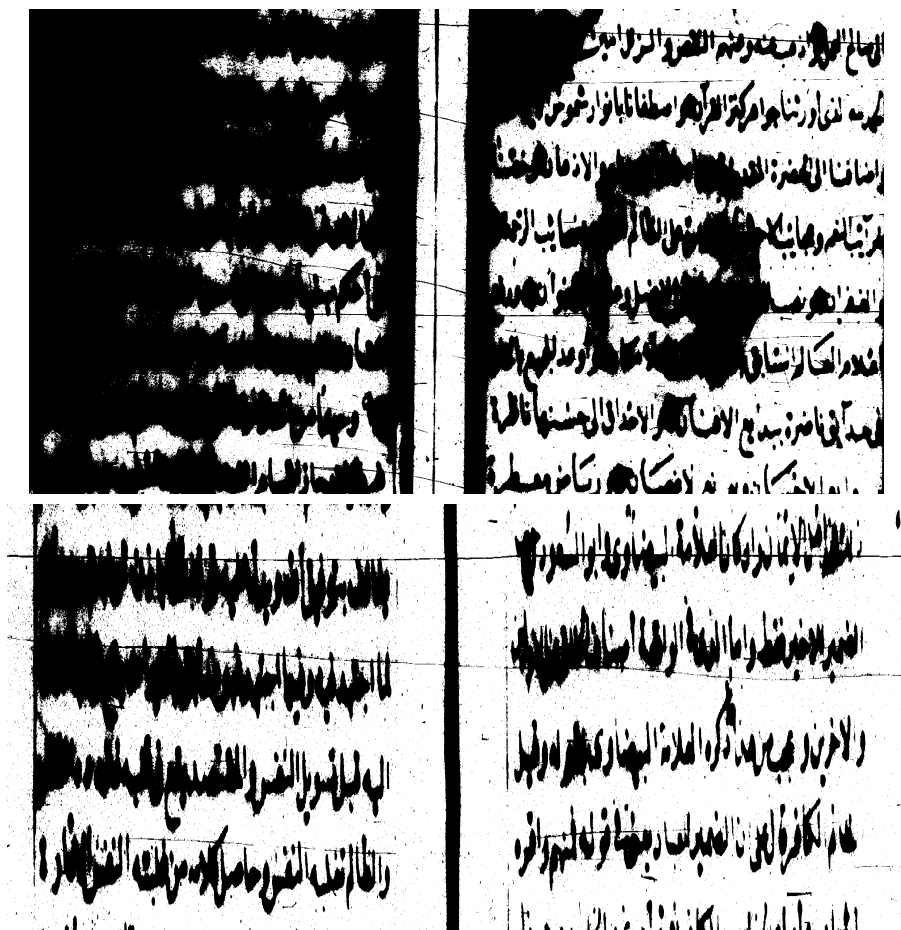
أولا: نوع الحبر (المداد) الذي كُتب به المخطوط، فظاهر أن الناسخ اعتمد حبرا غير مناسب، أرجح أنه مصنوع من الأتربة التي تسحق لتصبح كالكل ثم تخلط بالصمغ والماء، وهي التي تساهم كثيرا في طمس الكلمات والأسطر بعد إحكام غلق المخطوط وتركه لعوامل الطبيعة تنهش فيه مع طول المدة الزمنية، كما في هاته اللوحة:

1: هكذا ورد في النسخة المعتمدة.

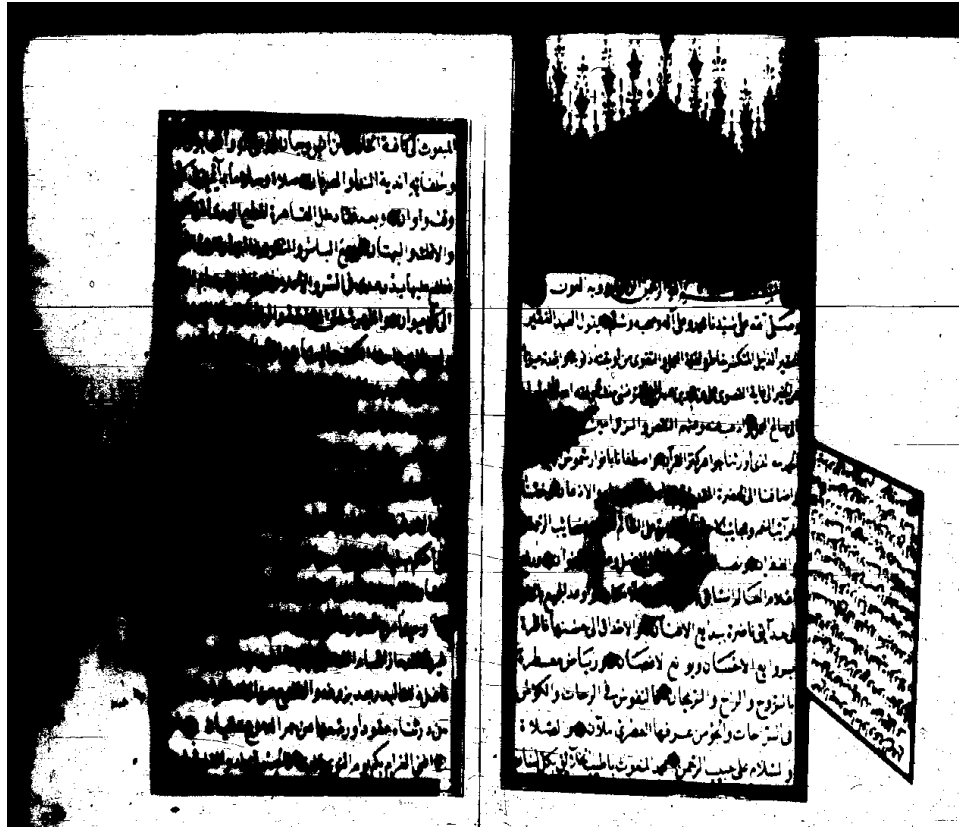
2: مخطوط: تحفة الأحياب، لعلي الميلي الجمالي، نسخة دار الكتب المصرية، من اللوحات الأولى. ذلك أن المخطوط غير مرقم، وهي عندي برقم: 155.

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

ثانيا: الرطوبة وطريقة الحفظ، فظاهر أنها أثرت على لوحات المخطوط كثيرا حتى تلاصقت بعضها ببعض، مما أثر في الحبر المكتوب به، وصار إما إلى الطمس أو سيلان المداد المكتوب به بسبب تفتت الأتربة المصنوع منها، كما هو مبين في هاتين اللوحتين:



وعلى هذا سارت غالب لوحات المخطوط للأسف، من أولها إلى آخرها، وليس سوء تصوير من مصور المخطوط كما قد يتوهمه البعض، وهي الفكرة التي قد ترد مباشرة حال النظر في لوحاته أول مرة، وكنتُ أحد الجازمين بذلك، إلا بعد أن عاينت المخطوط وقلبت لوحاته، بعد جهد جهيد، شاكرا في هذا المقام أمين عام المكتبة الذي سمح لي بذلك، رغم صعوبة الأمر، خاصة أن المخطوط مصنف ضمن المخطوطات التي لا يسمح بالتمسك بها يدويا، وهذا نموذج للوحة الأولى منه.



4. المطلب الثالث: قراءة تفسيرية لمخطوط الميلي:

الإمام الميلي الجمالي من أعلام الجزائر الذين خدموا تفسير القرآن الكريم تأليفاً، ولا نملك ما ندلل به على خدمته بالدرس في الجامع والمساجد أو المدارس الخاصة والعامة التي كانت في القاهرة زمانه. حاولت جاهداً من خلال مخطوطه "نزهة الأحباب" بيان أسلوب الشيخ ومنهجه في التفسير وعلومه، بما أتيح لي من لوحات وأسطر صافية يمكن قراءتها، مع التنويه أن غالب المخطوط مطموس العبارات بالأحبار وغيرها مما تطرق له سابقاً.

ذكر المؤلف في سبب تأليفه «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾»¹ أنه طُلب منه التصنيف في التفسير من طرف رجلين لم يفصح عن اسمهما أو مكانتهما، وأنه "ضربتُ عن قولهما صفحا، وطويت عن ضميري كشحا، ثم ظهر لي لا شيء أحسن من العلم، وهو في طريق الخير أجرى، فأجبتهما إلى ذلك القصد...² واخترت آية للمؤمنين تذكراً.. راجيا حصول الثواب من الله في الدار الآخرة، وسميتها «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾»².

1: النقاط جعلتها في هذا الموضع للكلمات المطموسة.

2: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم: 155 عندي.

ثم جعل من أسلوب التعرض للآية بالأسئلة طريقاً لفهمها وفهم مغاليقها وتيسير تفسيرها، إذ يقول: "فلننشر بعض ما ظهر في الآية الكريمة من الأسئلة التي يحتاج إليها كل طالب يطلب الفهم في كتاب الله تعالى وشوق إلى معاني أسرار رسول الله ﷺ".

ثم أورد الأسئلة متتابعة، فبدأ بالسؤال الأول فالثاني فالثالث حتى أتم موفى الواحد والعشرين سؤالاً دون إجابة، ليعد بالإجابة عنها مفصلاً في لاحق اللوحات، ونورد الأسئلة كما أوردتها هو إذ يقول:

السؤال الأول: ما سر التعبير بنم ولم يكن ذلك بغيرها من حروف العطف، وقد وقع الفرق بين معانيها؟

السؤال الثاني: ما سر قوله: ﴿أَوْثَرْنَا﴾ دون الإيتاء، وقد قال الله تعالى في آية: ﴿ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهل فرق بين الإيتاء والإعطاء والورثة والهبه والنحلة؟

السؤال الثالث: كيف يتقرر معنى الورثة وترتيبها بعد ذكر الجمل قبلها وهي ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ الآية؟

السؤال الرابع: ما سر التعبير بـ ﴿الْكِتَابَ﴾ دون القرآن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقَهُ لِقِرَائِهِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتَرٍ﴾ وقد قال ﷺ: «أهل الله حملة القرآن وخاصته»¹، وذكر القرآن في كثير من الآيات؟

السؤال الخامس: ما سر التعبير بـ ﴿الْكِتَابَ﴾ دون التعبير بكتابنا، كما قال الله تعالى قبلها: ﴿الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾؟

السؤال السادس: ما سر التعبير بالموصول دون المصطفين من عبادنا، كما قال تعالى في آية: ﴿الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ﴾؟

السؤال السابع: ما سر التعبير بـ ﴿مُصْطَفَيْنَا﴾ دون اخترنا أو آثرنا، وهل فرق بين هذه الألفاظ وقد قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ اللَّهُ عِلْمًا﴾؟

السؤال الثامن: ما سر التعبير بـ ﴿عِبَادَنَا﴾ دون العبيد وهل فرق بينهما؟

1: رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین، کتاب فضائل القرآن، أخبار فی فضائل القرآن جملة، حدیث: 1988. بلفظ: إن الله أهلي من الناس قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته". عن أنس رضي الله عنه. ورواه: ابن ماجه برقم: 215، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: 2165 في صحيح الجامع.

السؤال التاسع: ما سر تقديم الظالم لنفسه، والعرب يقدمون ما هو أغنى وأهم، والسابق بالخيرات معلوم العناية عند الله تعالى؟

السؤال العاشر: ما سر التقييد بقوله ﴿يَا ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ في القسم الأخير، ولم يقيد بمثل ذلك في القسمين الأولين؟

السؤال الحادي عشر: ما سر التقييد في السابق بالخيرات ﴿يَا ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ هنا، ولم يقيد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾؟

السؤال الثاني عشر: ما سر قوله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ دون التعبير بأولئك هم أهل الفضل، كما قال تعالى في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ﴾؟

السؤال الثالث عشر: ما سر التعبير بـ﴿الْفَضْلُ﴾ دون الفوز، كما قال تعالى في غيرها: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾؟

السؤال الرابع عشر: ما سر التعبير بـ﴿الْكَبِيرُ﴾ دون الأكبر، مع أن الآية سيقّت في فضل الهمة، وثوابها أكبر ثواب؟

السؤال الخامس عشر: ما سر هذه الجملة وتقديمها على التي بعدها في قوله تعالى: ﴿جَنَّتْ عَنِّي يَسْعَىٰ﴾؟

السؤال السادس عشر: ما سر التعبير في الآية بالمضارع دون الماضي، كما جاء في قوله ﷺ¹: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة»²، وإن كان ذلك جرى على الأصل في الآية كلام مطموس؟

السؤال السابع عشر: ما سر التقديم في ذكره لتحييتهم في الجنة على لباسهم، مع أن اللباس عادة يكون قبل التحية، والخطاب يكون على ما جرى في عرف المخاطب من الذي جرت به العادة في الدنيا؟

السؤال الثامن عشر: ما سر قولهم في ذهاب الحزن عنهم: ﴿إِنَّا رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وهلا قالوا: إن ربنا لغفور رحيم، على أنهم قالوا قبله ما علموا من كتابه، ووقع الثناء به في أصل خطابه: ﴿لِلْحَمْدِ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾؟

1: مخطوط: تحفة الأحاب، لعلّي الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم: 152 عندي.

2: ذكره ابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا، حديث: 200. بلفظ: من شهد لا من قال. وذكره بلفظه: الدولاقي في الكنى والأسماء، باب: من ابتدئ كنيته بالشين، أبو شيبَةَ الخدري رضي الله عنه، حديث: 227.

السؤال التاسع عشر: أن الله ذكر قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾، فهلا قالوا هنا: إن ربنا لخبير بصير بنا وبأعمالنا ؟

السؤال الموفي عشرين: ما ذكر المفسرون في معنى الآية وسبب نزولها، وما قال الجمهور فيها مشهور معلوم، فهل يمكن أن يقال أن الآية معناها خاص بأهل التلاوة للقرآن وهم حفاظه، وهم أقسام ثلاثة: سابق في حفظه وعمله ومقتصد وظالم لنفسه ؟

وقد يؤخذ ذلك من كلام من ذكر فضل القرآن وألف فيه وذكر الآية في فضل أهل كتاب الله تعالى، ولا بُد في هذا، وإن تحقّق ذلك فلا تخصيص في الآية ولا إشكال فيها، ويكون الدخول، وليس في طائفة من أهل الإيمان في الثلاثة الأقسام وهذا لا يمنع شيء لأن القرآن شافع مشفع لأهله، لكن يقال لا بد من تخصيص الآية لما ورد في بعض من حفظ القرآن ولم يعمل به، وأنه لا بد من الوعيد والورود للنار.

السؤال المتتم للواحد والعشرين: يقال على عموم معنى الآية في الأمة المحمدية بتمامها قد دخلت الأصناف الثلاثة جمل مطموسة....¹

ثم لما أكمل إيراد الواحد والعشرين سؤالاً قال: "وهذا ختام الأسئلة، ثم الكلام على كل سؤال منها يحتاج إلى طولٍ كثير، ومنه كُتِلَ الهمم، لكن أرجو من الله أن ألتزم الإشارة إلى بعض الأجوبة من غير إخلال ولا إكثار بل بالاختصار، وربما استغنيت بجواب واحدٍ عن سؤالين، والله المستعان وعليه التكلان".²

واعتمد الشيخ في تصنيفه هذا وفي إجابته على الأسئلة الطويلة، مصادر كثيرة نَوّه إلينا في مقدمته، مركزاً على «أنورا التنزيل وأسرار التأويل» للإمام البيضاوي وحاشية أبي السعود «إرشاد العقل السليم» وحاشية الشهاب الخفاجي «عناية القاضي وكفاية الراضي»، ولم يكن ناقلاً فقط، بل كان معترضاً في بعض الأحيان مبرزاً لرأيه ومرجحاً بين الأقوال، كما في قوله عند إirاده لكلام البيضاوي وأبي السعود في كلامهم عن قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا﴾: "فإن قلت هذا مخالف لما ذكره العلامة البيضاوي أن ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكدة، قال عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فاطر:31]: أحقه ﴿مُصَدِّقًا﴾ لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام، ووافقه السعود وأقره الشهاب، قلت: بحث في ذلك ابن هشام³ أن اللازم للحق هو صادقته

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعل الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم: 147 عندي.

2: مخطوط: تحفة الأحباب، لعل الميلي الجمالي، من اللوحات الأولى. وهي برقم: 146 عندي.

3: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، ج: 2، ص: 249.

لا تصديقه لجميع الكتب السماوية، فالحال مؤسسة لا مؤكدة، على أن التأسيس أبلغ في التأكيد، لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة، تأمل.¹

وتميز أسلوب الشيخ بالاستطراد والتوسع في الاستشهاد بالآيات الكثيرة مفسرا لها، ككلامه عن الجنة واستطراده في الكلام عن أبوابها إذ يقول: "وتأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ ﴿٥٠﴾ مُنْكِحِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرًا وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ كيف تجد تحته معنى بديعا، وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما قال، وأما النار إذا دخلها أهلها أغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ أي مطبقة مغلقة، ومنه سمي الباب وصيدا، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ بَسِيطٌ ذَرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.²

وقد اهتم الشيخ المليي بإيراد أقوال ومذاهب المدارس النحوية خاصة الكوفية والبصرية، فقد اعتمدها مثلا عند قوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ إذ يقول: "وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة، فقال الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب.....³ وأل والإضافة فيقولون: مررت برجل حسن العينين، أي عينيه، ومعنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي مأواه. قال بعض البصريين: التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به.....⁴ والكلام فيه طمس كثير يصعب معه فهم المراد.

وأيضا في كلامه عن توجيه النحويين للنصب في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ﴾. "هل هو على الظرف أم على الحال".⁵

وفي البلاغة يذكر صورا للاستعارة بأنواعها والمجاز وغيره من فنونها، كما في كلامه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ إذ يقول: "﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وإنما قالوا ذلك ولم يقولوا: الشكر لله، إشارة إلى أنه رأس الشكر، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: «الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدا لم يحمده»⁶، فإطلاق الرأس مجاز لعلاقة المشابهة في الظهور.....⁷ وهي استعارة مكنية، وذكر الرأس دليل

1: مخطوط: تحفة الأحاب، من اللوحات الأولى. وهي برقم: 141 عندي.

2: مخطوط: تحفة الأحاب، لعلي المليي الجمالي، وهي برقم: 99 عندي.

3: كلام مطموس، غير واضح.

4: مخطوط: تحفة الأحاب، وهي برقم: 99 عندي.

5: مخطوط: تحفة الأحاب، وهي برقم: 92 عندي.

6: لم أجده عند الترمذي، الحديث بلفظه أخرجه البيهقي، في شعب الإيمان في الثالث والثلاثون من شعب الإيمان، وهو باب في تعديد نعم الله. حديث: 4211.

7: كلام مطموس، غير واضح.

دليل على أنهم جمعوا بينه وبين الشكر في قوله: ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَعَفُورٌ شَكُورٌ﴾ وإنما قدّم لفظ الحمد، لأنّ المقام مقام الحمد، وإن كان ذكر أنه أعمّ، فإن قلت: تقديم المبتدأ هو الأصل فلا حاجة لهذه النكتة ؟ فالجواب: أن عدم الاحتياج لا ينافي حسن اعتبارها¹.

ولم يُبد الشيخ الميلي -فيما ظهر من لوحاته المقروءة- اهتمامه بالقراءات بل أوردتها في مواضع معدودة جدا دون الخوض في تفاصيل ذلك العلم، ككلامه عن اختلاف القراء السبع في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ إذ يقول: "تأمل ما دلّت عليه لفظة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ من كون ذلك اللباس من ظاهر....² يجمال ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن الذي تحت الثياب وإنما يلبس هذا فوق الثياب المزينة، فالجمال هو شعار غيره، فالإستبرق هو شعار والسندس هو الظهار، وقد اختلف القراء السبعة في نصب ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ورفع وسكون الياء على قراءتين"³.

وتميز منهجه في إيراد الأحاديث النبوية بالدمج والرواية بالمعنى، ولم يكن دقيقا في إيراد متون الأحاديث كما هي في كتب السنة، والتي أحيانا يشير إلى بعضها ثم يظهر خطؤه فيها، كصنيعه في تخريجه لحديث: {الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبداً لم يحمده} بأنه عند الترمذي، والصحيح أنه ليس عند الترمذي بل عند البيهقي وآخرون بذلك اللفظ الذي أورده، كما لم يكن مهتما بإيراد كتب السنة ولا مخرّج الحديث ولا راويه.

وغير هذه الفنون والعلوم لم أستطع بيانها من هذا المخطوط، للطمس في لوحاته، مع اليقين أنه يعتبر درّة جزائرية علمية في التفسير، وأن البحث عن نسخة ثانية له قصد إخراجه لرفوف المكتبات المطبوعة من أوجب الواجبات.

بقي الإشارة إلى أن هذا التصنيف- خاصة أنه كان ناقصا لورقة الكولوفون- قد أُلّف بعد الحملة الفرنسية على مصر أي بعد 1212هـ، وقد أشار إليها الشيخ وأبان عن بعض الحوادث والأحكام في تلك الفتنة المفجعة موردا لها بحسرة شديدة، فيقول في بداية مصنفه:

"والعاصي من هذه الأمة لو نزلت به أزمة، وأصابته شدة، لحق بأهل التقوى وتعلّق بهم لأنهم آله وحزبه، أبقى الله عليه إسلامه، فإن فارق الإسلام والعياذ بالله، وخلّ بالمعتقد لحق بأهل الكفر لا محالة، كما وقع ذلك عيانا في الديار المصرية في هذه الأزمنة الرديّة، لما نزلت بها أزمة الفرنسيّس، نكلّ خسيس من جند إبليس، كان يعبد الله على حرف وفي قلبه مرض وضعف، فباع الجنة الفاخرة ولم

1: مخطوط: تحفة الأحاب، لعلي الميلي الجمالي، وهي برقم: 81 عندي.

2: كلام مطموس غير مفهوم.

3: مخطوط: تحفة الأحاب، وهي برقم: 92 عندي.

يرد إلا الحياة الدنيا، وأعرض عن الآخرة، وقد قسم الله الخلائق قسمين لا ثالث لهما، فقال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾¹.

وبعد ظهور نسخة ثانية لهذا المصنف في التفسير، فإنه يستحيل استعماله والاستفادة منه، فضلا عن طبعه ونشره، ولعل قادم الأيام تظهر لنا نسخة ثانية يمكن اعتمادها في نسخ المخطوط وإخراجه لرفوف المكتبات الجزائرية والعربية.

5. الخاتمة

حاولت في هذا المقال التعريف بأحد أعلام التفسير الجزائريين، الذين هاجر أسلافهم أرض الجزائر منذ القدم، واستوطنوا تونس فالقاهرة، وكانت لهم البصمة العلمية الراقية، بتركهم لمنتوجهم المعرفي التفسيري الذي نحن نقتفي أثره تحقيقا ودراسة.

كما حاولت التعريف بمخطوط تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾، المخطوط الذي اعتنى بتفسير آية واحدة، وهو نوع من أنواع التفسير الذي كان يتعاطاه بعض الأعلام، بعد طرحه لأكثر من عشرين سؤالاً في مقدمته، ثم عقد الإجابة كاملة في عرضه، وإن لم نستطع الجزم بطريقة تفسيره وتعامله مع الآيات القرآنية، للطمس الحاصل واللوحات غير المقروءة، غير أننا نجزم أنه كان على طريقة أهل التفسير وميزانهم وشروطهم، وأن الإمام المليي الجمالي صاحب بصمة تفسيرية، وأن تفسيره يمكن تصنيفه ضمن تفاسير الرأي المحمود.

ويبقى السعي وراء إيجاد نسخة ثانية لهذا المخطوط من مهام الباحثين الجزائريين، ليتسنى لنا دراسة منهجه التفسيري والاستفادة منه، وإخراجه لعالم المكتبات الجزائرية والعربية الإسلامية المطبوعة، فإن ما توصلت إليه يبقى حكمه القصور، إذ المقام مقام تعريف بالعموم فقط.

6. قائمة المصادر والمراجع

- أبو القاسم سعد الله، (1984). تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 02.
- بشير ضيف بن أبي بكر، (2007). فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، دار ثالة، الجزائر، ط: 02.
- حسن حسني عبد الوهاب، (1990). العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1.
- خير الدين الزركلي، (2002). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15.
- عادل نويهض، (1980). معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض

1: مخطوط: تحفة الأحباب، لعلي المليي الجمالي، وهي برقم: 146 عندي.

- مخطوط: تحفة الأحياب في تفسير قوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب" للإمام الجمالي الميلي... •

- الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط:02.
- عبد الرحمن السيوطي، (د ت). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، ط:01.
- عبد الله بن هشام الأنصاري، (د ت). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط.
- محمد الحفناوي، (2012). *تعريف الخلف برجال السلف*، تحقيق: خير الدين شترة، دار كردادة، الجزائر، ط:01.
- محمد بسكر، (2013). *أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة*، دار كردادة، الجزائر، ط خ.
- محمد محفوظ، (1994). *تراجم المؤلفين التونسيين*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:02.